

الواقع الإلحادي المعاصر

إعداد: إيمان بنت إبراهيم الرشيد

مسار البحث: توصيفي

مجال البحث: وصف واقع الشبهات الإلحادي المعاصر

الألوكة

www.alukah.net

Atheism

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله الذي يهداه تبيين الحجج والآيات، وبحكمته تكون مخلوقاته دلائل عليه بينات. حيث جعل الإيمان به فطرة تبده العقول، وحقائق طبيعية لا ينكر دلائلها إلا كل مُعانِد جحود، وكلمات مباركات يتلوها على الناس كل مصطفى رسول.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث بالقرآن والسنة هداية للعالمين، تزداد نصوعاً بمر الزمان، وتدبر أولى الأفهام. ﴿سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبعد:

فقد غزا الفكر الغربي المُلجِد شعوبنا وشعوب العالم، فأوغر صدور شبابنا ضد خالقهم، وشحن قلوبهم بالحقق ضد الدين الإسلامي، كما سلخهم عن فطرتهم السمحة.

وبسبب عداء الملحدِين المستحکم للإسلام والمسلمين، وللقرآن الكريم أخذت جموعهم وجموع الماديين ومن والاهم تعبت بعقيدتنا، هادفين من وراء ذلك زلزلة أركان هذا الدين الحنيف وتشويهه وطمس معالمه.

لقد انتهجوا لتحقيق مآربهم أساليب ملتوية تتسم بالمكر والدهاء تارة، وبالغدر والتدليس تارة أخرى، وبالإغراء والإغواء تارات كثيرة، فانقاد لهم مَنْ كان في قلبه مرض، وأولئك الذين انهبوا بالحضارة الغربية وبالألأئها الزائفة.

ولأن الإلحاد أصبح واقعاً حياتياً؛ تبثه الفضائيات، وتطرحة صفحات الإنترنت، ويرَوِّج له داخل بيوتنا، رأيت أن أدلف مباشرة إلى بيان حقيقته وسبل المعالجة والتعامل مع هذه القضية، من الناحية البحثية على الأقل، مع الإقرار بالفضل والشكر لأصحاب المؤلفات والمقالات التي استفدت منها في هذا البحث - فجزاهم الله عني خير الجزاء - .

ما المقصود بالإلحاد؟

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء، يقال: لحد في الدين لحداً، وألحد إلحاداً، لمن مال وعدل ومارى وجادل وظلم.

والمراد بالملحدين: هم من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة - وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان - من أثر التطور الذاتي للمادة.^١

تاريخ الإلحاد المعاصر

نشأته وتطوره:

في الحقيقة لا يوجد تاريخ محدد يمكن من خلاله إثبات بداية زمنية للإلحاد أساساً، فهي ظاهرة طفيلية عبر الزمان لا توجد لها جذور حتى عند السوفسطائيين اليونانيين القدامى، وحتى [أبيقور] مؤسس مذهب المتعة ومؤسس المدرسة الأبيقورية المنحلة عاش عيشة متقشفة، وكان رواقياً سامياً في أخلاقه، عاش ومات على مذهب أهل الأديان في تبني الأخلاق، وترك الانغماس في الملذات واتخذ زوجة ومزرعة وعاش بما تُدره عليه دروس العلم التي كان يُلقها لتلامذته، وحتى فولتير أول الملحدين والأب الروحي للإلحاد كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدمته ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: "لولم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي" .. ، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها "يا رب اذكر عبدك فولتير"، وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض. أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقسيسين وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة.

فالإلحاد كفلسفة مُستقلة لا توجد له جذور عبر كل التاريخ ولذا يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: "لقد وجدت في

التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد".

وفي عصرنا الحديث يصعب بشدة ضبط تاريخ محدد لظهور الإلحاد المعاصر، لكن أغلب المؤرخين الغربيين يؤرخون لبداية الإلحاد في أعقاب هدم سجن الباستيل سنة ١٧٨٩ م مع بداية الثورة الفرنسية، وظهر فعلياً على الساحة العالمية بوصول البلاشفة للحكم في روسيا في أعقاب ثورة ١٩١٧ م ، لكن بقليل من الإنصاف سيظهر لنا أن البلاشفة

١ انظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، لعبد الرحمن الميداني، (ص ٤٣٣)

٢ البلاشفة أو البلشفيك التي تعني الكثرة أو الأكثرية وقد أطلقت جماعة الجناح اليساري من أنصار لينين، فيحزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي هذا التعبير على نفسها عام 1903 وكانوا يشكلون الأكثرية في الحزب، بينما سمي البقية بالمونشفيك (أي الأقلية)، وكانت الأكثرية تسعى للحل الثوري بينما الأقلية تسعى للتغيير السلمي. إلى جانب هذا كون البلاشفة جيش يسمى بالجيش الأحمر الذي نحاض حروب أهلية مع الجيش الأبيض وهذا الأخير الذي كان مدعوم من الغرب (بريطانيا - فرنسا) وكانت الغلبة للبلاشفة حينها سيطر على الحكم في روسيا في ظل الحكم الاشتراكي، وقد ظلت تلك الجماعة تعرف بهذا الاسم حتى بعد نجاح ثورة أكتوبر عام 1917 التي عرفت باسم الثورة البلشفية.

بالفعل كانوا ملحدين وحاربوا الدين حرباً شعواء، وتبعاً لمجلة التايم في عددها الصادر يوم ١-١-١٩٥٦ فإن عدد الكنائس تقلص في الاتحاد السوفيتي من ٤٦ ألف كنيسة سنة ١٩١٧ إلى ٤ آلاف كنيسة سنة ١٩٥٦، إلا أن البلاشفة الشيوعيين لم يكن إلحادهم إلحاداً علمياً أو فلسفياً أو فكرياً بقدر ما كان إلحاداً سياسياً، فالدين من منظور ماركسي هو أحد البنى الفوقية بما في ذلك الفكر والاجتماع والسياسة والتقاليد والقيم، بينما الإقتصاد هو البنية التحتية الوحيدة للمجتمع الماركسي، وكل البنى الفوقية هي انعكاس لهذا البناء التحتي، ولا توجد بنية فوقية واحدة مُستقلة، وهذا يعني أن الدين عامل عارض يتم إزالته في مرحلة لاحقة حتى ينفرد العامل الإقتصادي بإدارة الأمة الماركسية، ولذا فأغلب إحصاءات أعداد الملحدون حول العالم هي إحصاءات مزيفة وغير دقيقة؛ لأن أي دولة تُعلن الحكم الإشتراكي يتم تحويل عدد سكانها في جداول البيانات من خانة الدين إلى خانة الإلحاد، وهذا ما ذهب إليه [صامويل هنتجتون] في كتابه صدام الحضارات إذ يقول في ص ١٠٨ "يُشكل الصينيون حوالي ٩٢% من الملحدون حول العالم فمع مجيء الشيوعية إلى الصين تم تحويل كل أصحاب الديانات الأرضية إلى لادينيين، في كل الدراسات الإحصائية لأصحاب الأديان في العالم" وهذا تحويل قسري غير موضوعي.^٣

أسباب الإلحاد المعاصر:

١. الكنيسة الأوروبية والديانة النصرانية المحرّفة: التي نشرت الخرافات، والتي حاربت العلم التجريبي، والاكتشافات العلمية.
٢. طغيان الإقتصاد الرأسمالي: الذي قضى على الأخلاق الحسنة، ونشر الجشع والطمع والنفعية والاستعمار.
٣. انتشار الفكر الإشتراكي: الذي يزعم الدفاع عن الفقراء والمحرومين والمظلومين، وهو لم يزد لهم إلا فقراً وحرماناً.
٤. الحياة الجديدة ومباهج الحضارة: فتح العلم المادي للناس أبواباً عظيمة من أبواب الرفاهية والترفيه ومغريات الحياة، فالمرائب الفخمة من سيارات وطائرات، وقطارات، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية، والمطاعم والمشرب الفاخرة، والألبسة الأنيقة، والتلفن العجيب في التلذذ بالحياة، والجري وراء الشهوات والمغريات كل هذا فتح على الناس ألواناً لم يعهدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والملذات، ولما كان الدين بوجه عام ينهى عن الإسراف ويأمر بالقصد والاعتدال، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنوا أن هذه قيوداً على حريتهم، وحجراً للمذاتهم وشهواتهم فازدادوا لذلك بعداً عن الدين، وكراهية لمن يذكرهم بالآخرة ومن يحذرهم من نار أو يطعمهم في جنة. وبذلك أيضاً ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة.
٥. اقتران الإلحادية بالقوة المادية: الذي شجع الناس على الكفر بالله والانطلاق نحو الإلحاد الكامل هو اقتران القوة المادية بالإلحاد، وذلك أن الناس رأوا أن أوروبا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها. وأن دولة كروسيا لم تصبح دولة عظمى إلا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمسك بالدين دولاً متخلفة في القوة والصناعات فظن الناس لذلك أن الإلحاد سبب للقوة والعلم.

^٣ العودة إلى الإيمان، هشيم طلعت، (ص ١١-١٢)

^٤ انظر مقال الإلحاد، أسبابه وعلاجه، لأبي سعيد الجزائري، على الرابط: <http://www.abusaid.net/index.php/makalat/shariya/744-atheism.html>

٦. هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوربية: ما كاد الأوربيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، وبينون المصانع حتى اتجهوا إلى دول العالم بحثاً وراء الأسواق لمنتجاتهم الصناعية، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة، ولما كانت هذه الدول تطمع في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان أو بلا ثمن أصلاً فإنها استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد. ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف والفقير والضعف العسكري والسياسي، فإنه لم يصمد طويلاً أمام الهجمة الأوربية الاستعمارية، وكان للهزيمة العسكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائد الإسلامية، وانحسارها أمام المد الإلحادي الذي حملة المستعمرون الأوربيون، وطفقت الشعوب الإسلامية، تقلد المستعمر الأوربي وتتشبهه بأخلاقه وعاداته، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظناً منها أن الأوربيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين، وكانت هذه خطيئة جديدة وسبباً آخر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية.

سماته الإلحاد المعاصر:

١. الحماس والحرص الشديد على الدعوة للإلحاد.

وقد اتخذ هذا المنهج أشكالاً متعددة، من أهمها:

✚ التأليف والكتابة.

مثل كتاب (وهم الإله للدارويني الشهير ريتشارد دوكنز) وكتاب (نهاية الإيمان لسام هارس) وكتاب (الله ليس عظيماً لكريستوفر هيتشز) وغيرها...

✚ البرامج الفضائية والإذاعية.

مثل سلسلة الأفلام الوثائقية لريتشارد دوكنز وهي بعنوان (جذور الشركها) ومن الأنماط الفنية التي دخل فيها الملاحدة، وقاموا بتمير كثير من الرسائل الإلحادية من خلالها الأغاني والفيديو كليبات، ومن الأغاني الشهيرة أغنية (تخيل) لجون لينون، وأغنية (عزيزي الرب) و (أنا لست خائفاً).

من يقف وراء الإلحاد ؟

✚ المؤسسات الإلحادية العالمية

مثل:

◆ التحالف الدولي للملاحدة (ATHEIST ALLIANCE INTERNATIONAL)

◆ رابطة الملاحدة (Atheist Nexus)

◆ مؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم (Richard Dawkins Foundation for Reason and Science)

◆ الإتحاد الدولي للإتجاه الإنساني والأخلاقي

◆ الرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين.

ه انظر الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، لفضيلة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق.

المواقع الإلحادية على شبكة الإنترنت:

مثل:

- ◆ Friendlyatheist.com
- ◆ Ffrf.org
- ◆ Reddit.com/r/atheism

- ◆ شبكة الملحدين العرب
- ◆ قناة الملحدين بالعربي
- ◆ شبكة الإلحاد العربي

إضافة إلى حضور قوي لبعض صفحاتهم على (الفيسبوك) و (تويتر) باللغتين العربية والإنجليزية .

- ٢ . استعمال أداة الإرهاب في حرب الأديان.
- ٣ . الهجوم اللاذع على دين الإسلام.
- ٤ . المغالاة الشديدة في العلوم الطبيعية التجريبية.
- ٥ . استهزأؤهم بالشعائر الدينية جميعها، ووصفهم لأهلها بالرجعيين والمتخلفين، ومحاربة أي دعوة تدعو إلى التدين، أو صبغ الحياة بمظاهر الدين.
- ٦ . تعاونهم الوثيق مع الصهيونية والماسونية، ومدحهم اللامحدود لليهود وللصهيانية.^٧

كيف انتشرت الشبهات الإلحادية والفكر الإلحادي المعاصر في العالم العربي؟

لم يكن للملحدين واللادينين العرب أن يحلموا بيوم يستطيعون فيه التعبير عن أفكارهم بجرأة قبل ثورات الاتصالات، لاسيما وسائل التواصل الاجتماعي.

فبعد أن كانت المنتديات الحوارية متنفسهم الوحيد للتعبير بحرية عن شريحة مهمشة منبوذة قانونياً واجتماعياً، أصبح اليوم بإمكانهم، من خلال فيسبوك وغيره من مواقع التواصل، التعبير بسهولة والتنسيق في ما بينهم. ومن الصعب جداً إحصاء الصفحات والمجموعات اللادينية العربية على فيسبوك، أو إحصاء عدد متابعيها، لكنه يبلغ مئات الآلاف على أقل تقدير. تتنوع هذه الصفحات في طريقة عرضها للأفكار، بين صفحات ساخرة ناقدة، وأخرى علمية ذات مشروع فكري يهدف إلى التنوير ونشر الثقافة لعموم المتابعين.^٨

^٦ انظر ميليشيا الإلحاد، لعبدالله العجيري منتقاه من (٢١-٨٣)

^٧ انظر مقال ظاهرة الإلحاد، محققيتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، على الرابط: <http://www.al-forqan.net/files/print-361.html>

^٨ انظر مقال ملاذ الملحدين واللادينين العرب، لعادل قلقيلي، على الرابط: <http://rsif.me/of375>

منابر الملحدين الإعلامية في العالم العربي:

فيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات هي الوسائل الإعلامية الأكثر تداولاً بين الملحدين العرب، لأسباب عدة ربما من أهمها أنها تتيح للمستخدم خيار عدم الكشف عن تفاصيل هويته.

وقد أجرى قسم المتابعة الإعلامية لبي بي سي بحثاً على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي عن كلمة "ملحد" باللغة العربية والإنجليزية، وتبين أن مئات من صفحات فيسبوك وحسابات تويتر التابعة لـ "ملحدين" من العالم العربي جذبت آلاف المتابعين لها.

ويحتوي فيسبوك على العديد من الصفحات التي تدعو الملحدين العرب إلى الانضمام إليها. ومن هذه الصفحات: "الملحدين التونسيين"، التي تضم أكثر من ١٠ آلاف متابع، و"الملحدين السودانيين" التي تضم أكثر من ٣٠٠٠ متابع، وأيضاً "شبكة الملحدين السوريين" التي تضم أكثر من ٤٠٠٠ متابع.

وعلى تويتر، يتراوح عدد متابعي الحسابات التي يعلن أصحابها عن إحادهم بين المئات والآلاف، فمثلاً يتجاوز عدد متابعي حساب "أراب أثيست" الثمانية آلاف متابع.

ويتنوع محتوى النقاشات التي يجريها أصحاب هذه الحسابات، فبعضهم يقول إنهم يريدون "هدم خرافات الدين باستخدام العقل"، والبعض الآخر ينشر على حسابه تعليقات وصوراً مضادة للإسلام مثل صور لنسخ للقرآن الكريم ممزقة.

بعض هؤلاء يقول إنه هدفه إعمال العقل ونشر العلم وهناك من يقول إن تغريداته موجهة للاتباع الملحدين. وهناك من يصف نفسه بأنه "كافر وملحد" وينشر مشاركات تدعي "بأن الخطاب الإسلامي يشجع على العنف ضد الديانات الأخرى".

وعلى يوتيوب، أنشأ بعض الملحدين العرب العديد من القنوات التي تجذب آلاف المشتركين. وغالباً ما ينشر أصحاب هذه القنوات مقاطع فيديو ضد الدين الإسلامي تحمل عناوين مثل: "خرافات الدين".

وفي مكان آخر على شبكة الإنترنت، أطلق بعض الشباب العربي قناة تلفزيونية على الإنترنت تسمى "العقل الحر". ويعرف موقع "تلفزيون العقل الحر" على الإنترنت بنفسه على أنه "إحدى وسائل الإعلام العلمانية عبر الإنترنت التي تهدف إلى تقديم أخبار بعيدة من هيمنة الرقابة الدينية والحكومية إلى شعوب الشرق الأوسط والعالم".

٩ انظر مقال الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟ (قسم المتابعة الإعلامية - بي بي سي)، لأحمد نور، على الرابط:

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150831_arab_atheism

هل للإلحاد أسباب نفسية؟!

و ماهي درجات الإلحاد النفسي؟

إن المتمرس في نقاش وحوار الملحدين والاقتراب من طريقة تفكيرهم ولمس محاولتهم للتعايش مع أنفسهم في إنكارهم لبدهييات العقل والفطرة، يجدهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

➤ الصنف الأول: وهو الذي وقع في فخ الإلحاد عن جهل، أو كنتيجة لموقف عاطفي أو صدمة نفسية مع قضاء الله تعالى وقدره، أو متأثرًا ببعض الشبهات العلمية أو الدينية التي جذبتة - وخصوصًا في سن المراهقة والشباب - فأوحت إليه بالتميز وكأنه قد اكتشف وانفرد بما لم يكتشفه وينفرد بمعرفته الكثير من أقرانه! وهذا النوع غالبًا هو الأقرب فرصة للعودة إلى التدين عمومًا - وإلى الإسلام خصوصًا - أو الولادة من جديد كما قلنا بمجرد زوال شبهاته أو إفاقتة على حقيقة الأمر وأن مسألة الكفر والإيمان جد وليست بهزل.

➤ وأما الصنف الثاني: فهو الذي نجح إلى حد كبير في التعايش مع إلحاده! إما صبرًا على مضض - لكسب مالٍ أو نيل شهوة - وإما عنادًا كعناد إبليس، وإما خوفًا من السخرية منه أو شماتة الشامتين فيه إذا عاد إلى الحق والدين، وإما حُبًا في الإلحاد ذاته!

فهذا الصنف تميز بقدرته على مداراة ضميره أو إسكات النزعة الإنسانية ونداء الإيمان الفطري بداخله! وهو الصنف الذي يمكن وصفه بأنه من الذين لديهم القدرة على تصديق كذباتهم الخاصة (والبحث الاحترافي عن أية تبريرات لكل أعمالهم وأقوالهم والاعتناع بها ومهما كانت غريبة أو تافهة أو مخالفة للفطرة وللعقل! تمامًا كما صدق فرعون مصر كذبتة في أنه رب الناس - وكما قالوها له ورددتها عليه الكهنة ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤]. وهذا الصنف الصابر على كفره والمتماذي في غيه للأسف لا تنفعه ساعة الموت توبة ولا إعلان إيمان ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٩١]

➤ وأما الصنف الثالث والأخير: فهو مثل السابق في ميله وحببه واختياره للإلحاد، ولكنه لا يملك تلك القدرات على إسكات النزعة الإنسانية ونداء الإيمان الفطري بداخله!

ولذلك يعيش حياته في صراع بين نفسه وضميره من ناحية، وبين شهواته وفساد عقله وما اختاره لنفسه من الناحية الأخرى! وللأسف... فهذا الصراع يبلغ من العمق والألم ما لا ينفع معه مُسَكِّنَات التَأَقْلَم (مع) الحيوانية الإلحادية - والتي لا ترى الإنسان إلا حيوانًا من الحيوانات في شجرة التطور المزعومة - في مقابل الإنسانية البشرية التي فطره الله عليها وبمخالفتها يشقى ويتعذب! وعليه.. فهذا الصنف البئيس قد عَلِقَ في المنتصف بين الصنف الأول والثاني! لا هو بالذي انحاز للحق إذ ظهر له، ولا هو بالذي استطاع أن يُحقق الحيوانية الإلحادية في داخله ك(إنسان) بسبب بقايا الفطرة والأخلاق والضمير بداخله! فما أتعسه من إنسان يوشك غالبًا على الانتحار ليرتاح!^{١١}

^{١١} انظر مقال نظرات في الحالة الإلحادية من الناحية النفسية، لأحمد حسن، على الرابط: <http://www.alukah.net/sharia/0/67474>

ماهي الآثار السلبية للإلحاد المُعاصر؟

ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سلوك الإنسان وفي أخلاق الأمم، ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي:

١. القلق والصراع النفسي:

إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي، والخوف من المستقبل.

٢. الأنانية والفردية:

كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الأيام هي اتجاه الإنسان نحو الفردية والأنانية، ونعني بالأنانية اتجاه الإنسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الآخرين، فالدين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للآخر والإحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الإنسان، حل مكانه التفكير في النفس فقط وبذلك بدأ الناس في عصور الإلحاد المظلمة لا يهتمون لغيرهم من بني البشر، وشيئاً فشيئاً قلت العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضاً بالزوجة والأولاد.

٣. النزوع إلى الإجرام:

لأن الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض، فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس، قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة.

٤. هدم النظام الأسري:

كان للإلحاد آثار مدمرة في الحياة الاجتماعية للإنسان، فالبعد عن الله سبحانه وتعالى لم يكن من آثاره تدمير النفسية البشرية فقط، وإنما كان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الإنساني وتفكيكه، وذلك أن نظام الاجتماع البشري لا يكون صالحاً سليماً إلا إذا كانت اللبنة التي تشكل هذا النظام صالحة سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنة فسدت تبعاً لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضاً هدم النظام الأسري.

٥. تخريب المجتمعات:

الأسرة هي الخلية الأولى من البناء الاجتماعي، وبفسادها لا شك يفسد النظام كله؛ لأن الأسرة هي المحضن الأول للإنسان وإذا فسد الإنسان فسدت اللبنة التي تكوّن هذا البناء.

٦. الإجرام السياسي:

لعل أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول، وذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية التي دفعت الإنسان إلى تطبيق هذه الأنانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضاً؛ ولذلك رأينا الدول الاستعمارية الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيصة جداً في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها.^{١١}

١١ انظر مقال ظاهرة الإلحاد ما حقيقتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية على الرابط: <http://www.al-forqan.net/files/print-361.html>

وماهي آثار الإلحاد الاجتماعية؟

تخيل مجتمعاً من الملاحدة لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً لترى ما شئت من الموبقات التي لا يجتنبها الملحد ما لم يخف من عقوبة توقع به!^{١٢}

هل تأثر المسلمين بالتبليغ الإلحادي المعاصر؟

لا زال أكثر المسلمين في العالم –والحمد لله- متمسكين بدينهم وبالإيمان بالغيب وبالجنة والنار، وقائمين بالعبادات الشرعية، إلا أن موجة الإلحاد واللا دينية تطفئ على كثير من جوانب حياتهم، خاصة في المعاملات والأخلاق والعلاقات، كما تُوجد محاولات كبيرة من الأعداء لتشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم وقدراتهم.^{١٣}

فقد تعرض مجتمعات المسلمين اليوم لحمولات متتابعة للطعن في ثوابتها ومحاولة شغلها عن بناء مستقبلها وإغراقها في مشاكل الهوية والفكر والصدمات الفلسفية استمراراً لنظرية هدم الإسلام من الداخل بأيدي أبناءه.

وما ينتشر اليوم من نشر للشبهات الفكرية والشهوات البوهيمية^{١٤} بين شباب المسلمين ليس جديداً ولا مستغرباً من أعداء الإسلام فتلك سنة من السنن الإلهية في الصراع بين الحق والباطل: لكن الجديد هو ما ألبسته تلك الحملة الإلحادية من لبوس العصرية والاستفادة من التقنية والمال ووسائل الإعلام.

وقد تصدى لتلك الحملات الشرسة المتتابعة من أبناء المسلمين على مر التاريخ رجال كثر وعلماء صدق بذلوا حياتهم لنصرة الإسلام ونذروا أوقاتهم لكشف تلك الغمة الإلحادية عن أبناء المسلمين من خلال الدعوة والحوار والنقد وكشف شبهات الملاحدة.^{١٥}

^{١٢} انظر الإلحاد : أسبابه ، طبائعه ، مفسدة ، أسباب ظهوره ، علاجه، محمد الخضر حسين.

^{١٣} انظر مقال الإلحاد، أسبابه وعلاجه، لأبي سعيد الجزائري، على الرابط: <http://www.abusaid.net/index.php/makalat/shariya/744-atheism.html>

^{١٤} البوهيمي : أساساً هو أحد مواطني منطقة بوهيميا التشيكية لوصف أولئك المهاجرين العجر الذين جاؤوا من رومانيا مارين بمنطقة بوهيميا، إلا أن المصطلح انتشر بمعنى آخر في فرنسا، أولاً في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أصبح يدل على أي كاتب أو فنان يميل إلى اتخاذ سلوك أو العيش بنمط حياتي غير مألوف، سواء كان هذا سلوكاً واعياً أو غير واعياً منه. ومن ثم فنمط الحياة الفجرية آنذاك كان بمثابة الشرارة الأولى لبداية ما يعرف بالبوهيمية في الأدب والفن في فرنسا و أوروبا.

يستخدم مصطلح البوهيميون اليوم لوصف فنانين يعيشون ويدعون إلى التفكير الحر المطلق غير المقيد محاولة منهم لإضفاء أسلوب خاص في نتاجهم الأدبي أو الفني، لذلك فهم لا يمثلون في سلوكهم وأعمالهم إلى أعراف المجتمع وتقاليد.

^{١٥} انظر الإلحاد : أسبابه ، طبائعه ، مفسدة ، أسباب ظهوره ، علاجه، محمد الخضر حسين.

استراتيجية مُقترحة مكونة من ثلاثة قوائم؛ لمجابهة الظاهرة الإلحادية في العصر الحاضر دون أن نغلق أو نسلج الرؤية والتفكير ..

القوائم الوقائية:

القاعدة الأولى: تعزيز اليقين بأصول الإسلام

✍ من وسائل تعزيز اليقين:

١. إحياء وإشاعة عبادة التفكير في آيات الله الكونية

لقد جاء في كتاب الله توضيح العلاقة بين التفكير وبين إدراك الحقائق الكبرى، فقال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ومن وسائل إحياء عبادة التفكير:

✚ نشر المواد المرئية والمقروءة التي تخدم مجال التفكير والتأمل.

✚ عمل مسابقات على أفضل إنتاج لمواد مرئية أو بحوث مكتوبة في هذا المجال.

٢. العناية بالكتب التي أهتمت ببيان دلائل صحة أصول الإسلام، وقد كتب العلماء قديماً وحديثاً في هذا المجال، فنجد كثيراً من المتقدمين كتبوا في إعجاز القرآن كالخطابي والرماني والباقلاني والجرجاني وغيره، ومن الكتب المعاصرة في هذا المجال:

- كتاب النبا العظيم وكتاب مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز.
- كتاب براهين وأدلة إيمانية لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
- كتاب نبوة محمد من الشك إلى اليقين لفاضل السامرائي.
- كتاب الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي.
- كتاب كامل الصورة لأحمد يوسف السيد " الجزء الثاني منه ".

٣. الاهتمام بعبادة القلوب في الدعوة والعلم والعمل .

لقد كان إبراهيم الخليل عليه السلام منيباً متوكلاً خاشعاً لله سبحانه، وكان من الموقنين، فحين حاجه قومه في الله سبحانه، قال لهم: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠].

٤. نشر قصص المسلمين الجدد، فإن لها أثراً كبيراً في الارتياح الإيماني، وخاصة حين ترى تنوع تخصصاتهم واختلاف بلدانهم، وأنهم إنما دخلوا الإسلام عن قناعة ورضا.

القاعدة الثانية: تكوين العقل الناقد

القاعدة الثالثة: التأصيل الشرعي

✍ بدراسة أصول الفنون الشرعية (العقيدة، الفقه، أصول الفقه، المصطلح، اللغة، علوم القرآن).

القاعدة الرابعة: تحديد مصادر التلقي والمعرفة والموقف من كل مصدر

القاعدة الخامسة: عدم التعرض لخطاب الشبهات من غير المتخصص.

القاعدة السادسة: القراءة الوقائية في كتب الردود على الشبهات، بشروط:

- ✚ أن تكون الشبهات معاصرة ومنتشرة، أو بتعبير عصري: أ، تكون في دائرة الخطر.
- ✚ أن تكون من الكتب التي تُجمل في ذكر الشبهة وتُفصّل في الرد، وليس العكس؛ فإن بعض الكُتّاب يُفصّل في عرض الشبهة، ويذكر مستنداتها وأصولها، وهذا جيد للمتخصصين، ولكن نحن نتكلم هنا عن وقاية غير المتخصصين، فقراءتهم للشبهة المفصلة المذكور أدلتها بتفصيل لا حاجة لها.
- ✚ أن يكون الرد محكماً، ويعرف هذا عن طريق المتخصصين. ومن الكتب المناسبة في مجال الرد على الشبهات المعاصرة وتقرأ على سبيل الوقاية:

- كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي.

- كتاب كامل الصورة بجزئية الأول والثاني.

القاعدة السابعة: تعزيز البرامج الجماعية المفيدة فكرياً وعاطفياً.

القاعدة الثامنة: الدعاء والابتهال.^{١٦}

- القاعدة التاسعة: تمويل المشروع الدعوي في طبع كتب العقيدة والردود، وإظهار أفلام علمية في الفضائيات تتناول عظمة الله عزوجل وتسلط الضوء على محاسن الإسلام وتوحيد الربوبية.
- القاعدة العاشرة: تدريب شبابنا على الذب عن دين الله ودحض الشبهات، وذلك بتعليمهم كتب الاعتقاد الصحيح، وتكوين مكتبات لمن لا يستطيع شراء الكتب اللازمة.
- القاعدة الحادية عشرة: تنبيه أهل العلم والعلماء بالخطر المحقق بالشباب والشابات، وتذكيرهم بزوال الدنيا وعدم الركون إليها حتى يؤدي دورهم ويبلغوا رسالة الإيمان والتوحيد.^{١٧}

قواعد للتعامل مع الإشكالات والشبهات بعد ورودها:

القاعدة الأولى: استعمال التفكير الناقد والتوثيق العلمي في التعامل مع المعلومات والأفكار.

يجب ألا يكون لأي معلومة قيمة تستحق النظر والنقاش، ما لم تتوفر فيها أدنى درجات التوثيق العلمي. أمثلة واقعية:

✚ رد أحاديث معاوية والظعن فيه ﷺ بسبب دعوى أن النبي ﷺ لعنه، وهذا خبر لا يثبت، وبالتالي بطلت الدعوى والنتيجة.

✚ الظعن في أبي هريرة ﷺ بسبب اتهام عمر ﷺ إياه بالسرقه، وهذا خبر لا يثبت.

✚ التشكيك في السنة بسبب حرق عمر ﷺ لصحف فيها أحاديث، وهذا الخبر يستدلون به كثيراً، وهو خبر غير صحيح.

✚ الاستنقاص من مكانه أبي هريرة ﷺ بسبب حديث ((زرغباً تزدد حباً))، وهو لا يصح بالقصة المدّعاة.

القاعدة الثانية: سؤال المتخصصين.

القاعدة الثالثة: مراجعة الجهود السابقة في الرد على نفس القضية المُستشكلة.

^{١٦} انظر سايفات، لأحمد السيد.

^{١٧} انظر مقال منظمات عالمية تنشر الإلحاد بيننا، لعبدالباسط قاري، على الرابط: <http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?58562>

<http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?58562>

القاعدة الرابعة: رد المُتشابه إلى المحكم.

✍ إن قضية المحكم والمتشابه لمن الأمور المنهجية المهمة في فهم القرآن، وهي الفرقان بين الراسخين والزائغين، فقد قال ربنا ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، ويلخص ابن كثير معنى الآية ودلالاتها في كلام واضح ثمين، فيقول ((يخبر تعالى أن في القرآن ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات ﴿أُخَرُ﴾ فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾؛ أي: تحتدل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتدل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد))

✚ فحين يأتي نصراني فيقول: إن قرآنكم يدل على تعدد الآلهة، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ووجه الدلالة أن في هذه الآية ألفاظاً تدل على الجمع: (إنا) (نحن) (نا) (واو الجماعة). فنقول له: إن هذه الضمائر كما تدل على الجمع فهي تدل على التعظيم أيضاً، فالملوك يتحدثون عن أنفسهم بصيغة الجمع من باب التعظيم، وإذا نظرنا إلى الأمر المحكم البين في القرآن الكريم فهو التوحيد؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَانَهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فبطل تشغيبه.

القاعدة الخامسة: التماسك أمام الشبهة التي لم يُعرف جوابها.

القاعدة السادسة: دراسة سلبيات الانتقال إلى الفكر اللاديني أو ما يُسمى زوراً بالـ (القرآني) ونحوها.

القاعدة السابعة: عدم التعامل مع الوسواس كالتعامل مع الشبهة.

✍ إن باب الوسواس يختلف عن باب الشبهات التي يكون علاجها بالإجابة عنها، فتنتهي وتزول إذا كانت الإجابة مُحكمة، وأما الوسواس فإن الحل معها ليس في الجواب عنها، فإنها لا تنتهي بذلك ولو كُثر الجواب مائة مرة، وإنما حلها في الإعراض عنها.

ومن علامات الشبهة أنها تكون في الغالب ذات مصدر محدود، إما أن يكون مقطوعاً مرثياً، أو كتاباً، أو أصدقاء، ونحو ذلك، وأما الوسواس فالأصل أنها ترد من خواطر يشعربها الإنسان في داخله، وكثيراً ماتأنيه وقت العبادة.

قواعد حوارية وجدلية مع أصحاب الشبهات

القاعدة الأولى: (قبل الحوار): استيعاب مذهب المحاور، واستعراض مواد المرئية والمقروءة المتوفرة.

القاعدة الثانية: الاتفاق على قاعدة مشتركة في الحوار.

القاعدة الثالثة: تحرير محل النزاع

✍ في بعض النقاشات يُدرك طرفاً الحوار بعد مدة من البدء به أنهما متفقان غير مختلفين، وإنما أساء كل منهما فهم الطرف الآخر، وهذا يكون كثيراً في حوارات شبكات التواصل التي تُشكّل جواً من الشحن النفسي، فيحسن بالمتحاورين أن يفهم كل منهما قول الآخر، ويحددان محل النزاع، ثم ينطلقان لهدف واضح،

القاعدة الرابعة: التدقيق في كلام الطرف الآخر، ونقده، والتنبه للإشكالات التي يتضمنها.

القاعدة الخامسة: عدم الإكتفاء بالدفاع،

القاعدة السادسة: عدم التسليم بمقدمات باطلة.

✍ تسليمنا بمقدمات باطلة يعني أن المخالف سيلزمنا بنتائج باطلة، فيجب ألا نُسلمَ بها ابتداءً، وهذا يقطع الطريق على صاحب الشهية .

✚ بعض الملاحدة قد يستدرجك في النقاش قائلاً: كل موجود فله مُجد؛ أليس كذلك؟ فإن قلت: بلى،

قال لك: الله موجود؛ فمن أوجده؟ والصواب في ذلك ألا تُسلمَ بالقاعدة في أساسها؛ لأنها قاعدة غير

صحيحة، والصواب فيها أن: كل حادث فلا بد له من مُحدث، والله سبحانه ليس بحادث، فلا يسأل

عنه بسؤال من أحدثه، أو من خلقه ، أو من أوجده.

القاعدة السابعة: إن كنت مدعياً فالدليل، وإن كنت ناقلاً فالصحة.

القاعدة الثامنة: التنبيه من الاستدلال الانتقائي بالنصوص الشرعية، وضرورة استعراض سائر نصوص الباب.^{١٨}

بِسْمِ اللَّهِ

^{١٨} انظر سابغات، لأحمد السيد.